جامعة الأزهر

مجلة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

البنات بسوهاج

العدد العاشر

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

مقـــــــدمة

الحمـد للـه الذى أكمـل لنـا ديننـا وأتـم علينـا نعمتـه ورضى لنـا الإسـلام دينـا .. والصـلاة والسـلام على سـيد ولـد آدم ولا فخـر سيدنا محمـد خـاتم الأنبيـاء والمرسلين وعلى آلـه وصـحبه أجمعين .

وبعـــــد ...

فإسهاماً منـا فى نشـر الثقـافة الإسلامية تقـوم كليـة الدراسـات الإسلامية والعربيـة للبنـات بسـوهاج بعمـل حولية علميـة تضـم بعض الأبحـاث العلميـة المفيـدة والتى يقـوم بتقديمها بعض العلمـاء الأفـذاذ من أسـاطير العـلم والمعـرفة إبـرازاً لدور الكليـة وما تضطلع بـه فى هـذا الميدان كرافـدة من روافـد الأزهـر الشريف فى الحفـاظ على الإسـلام ونشـر عـلومه بين النـاس فى أنحـاء العـالم .

والكليـة تشـكر كـل من أسـهم فى إخـراج هـذا العمـل على هـذه الصـورة .

والله من وراء القصـد وعليه القبـول ..

عميـد الكليـة

أ.د/ محمـد أحمـد دياب

دكتور / محمـــود جمعـــة أميـــن

رثاء مصطفى كامل
في وجدان شاعري مصر
شوقي وحافظ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى العربى الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ...

فللزعيم الوطنى « مصطفى كامل » بصمات واضحة على صفحات الجهاد الوطنى الذى اشتعل أواره فى الفترة التى أعقبت الاحتلال البريطانى لمصر فى مواجهة المستعمر ، وفضح سياسته والتعريض بمخازيه وكشف مساوئه وألاعيبه كما فى حادثة دنشواى وغيرها من الأحداث التى عرى فيها السياسة البريطانية وأشهد العالم على قبحها ، ولهذا الدور المجيد للزعيم الوطنى الكبير طوال حياته وبعد مماته أثر بعيد المدى فى وجدان الشعراء والخطباء . وسأعرض فى بحثى هذا لشاعرين من كبار شعراء مصر فى هذه الآونة ربطتهما بالمرثى علاقات ود وصداقة ، ثم عرفان بقدره ، وإيمان بوطنيته وهما :

« شوقى وحافظ »

اللذان رثياه من قلبيهما ، ورثيا من خلاله شعب مصر نحو النكبات التى لاقاها من جراء هذا الاستعمار ، كما

جعلا رثاءه معبرا لتحريك الشعب نحو الوصول الى غاياته وأهدافه • وسيكون عملى فى هذا البحث مقصورا على مايأتى :

١ ــ تمهيد لهذه الدراسة بكلمة عن ظروف العصر الذى عاش فيه مصطفى كامل وبصماته على صفحة الجهاد المصرى الوطنى •

٢ ــ عرض مجمل فى تحليل موجز لقصائد الرثاء التى قالها شوقى نتبين منها وجدانه نحو المرثى •

٣ ــ عرض مجمل فى تحليل موجز لقصائد الرثاء التى قالها حافظ توضح عاطفته تجاه الزعيم المرثى •

٤ ــ وأخيرا موازنة بين رثاء شوقى وحافظ لمصطفى كامل •

وخصصت « حافظاً وشوقياً » من بين شعراء العصر لأنهما كانا الشاعرين الذين احتلا مكان الصدارة بين الشعراء فى مطلع هذا القرن ، وقد شغلا الناس ردحاً طويلا من الزمن ، ولازالت أقلام مؤرخى الأدب ونقدته تجرى فى الموازنة بينهما والمفاضلة بين شعريهما ، وكان لكل منهما أنصار يغالون فى تأييده ويشيدون بذكره فى الآفاق ، ولازال هذان الشاعران هما الفرسين المجليين فى حلبة الشعر العربى الحديث ، وكان هذان الرجلان متلازمين فى أفكار الناس فلا يذكر أحدهما حتى يتداعى له اسم الآخر •

وسوف أحاول فى هذا البحث - مستعيناً بالله وحده - استظهار وجدان كل من الشاعرين بالنسبة للزعيم مصطفى كامل.

والله أسأل أن يوفقنى الى ما قصدت فعليه وحده قصد السبيل

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

وهو حسبى ونعم الوكيل ،،

دكتور

محمود جمعة أمين

(١)

« تمهيـــــد »

الحيـاة المصـرية فى عصـر المـرثى

عـاش مصطفى كـامل فى الفتـرة فيمـا بين سـنة أربـع وسبعين وثمانمائة وألف ميـلادية حيث ولـد ، وبين سـنة ثمـان وتسعمائة وألف حيث لحـق بالرفيق الأعـلى متغمـدا برحمـة من الله ورضـوان .

وفيمـا بين ولادتـه ووفـاته وقعت أحـداث سياسية بالغة الأهميـة ليسـت فى حيـاة مصـر وحدهـا وإنمـا فى حيـاة العـالم الإسلامى كلـه .

فالدولـة العثمانية قائمـة والخليفـة آنئـذ هـو السلطان « عبد الحميـد » ومصـر تحـكم بواسطة أسـرة محمـد عـلى وحاكمهـا فى هـذه الفتـرة « إسماعيل » الذى جـر على البـلاد كثـيرا من الـكوارث وأوقعهـا فى بحـر من الديـون فقـد كـان مسرفـاً متلافـاً لأمـوال الشـعب ينفقهـا على ملذاته وشهواته فى روحـاته وغدواته فكسدت الأسـواق وكثـر الدائنون وتكاثرت الديـون . الأمـر الذى جعـل بعض الشـعراء يتصدون لمهاجمته وذكـر مسـاوئه وتبديده لأمـوال الشـعب كمـا دعـوا المصريين الى اليقظـة وحثوهـم على الثـورة ضـده ومنهـم الشـاعر

« صـــالح مجـــدى » الذى هاجمـــه فى بعـــض قصـــائده حيـــن قـــــال :

رمى بلادكـــم فى قعـــــر هـــاوية
من الديون على مرغوب (جوسيار)

وأنفق المـــال لا بخـــلا ولا كرماً
عـــلى بـــغى وقـــــواد وأشـــرار

والمـــرء يقنـــع فى الدنيا بواحـــدة
من النســـاء ولـــم يقنـــع بمليـــار

ويكتفى ببنـــــاء واحـــد ولـــــه
تسعون قصراً بأخشاب وأحجـــار

فاستيقظوا لا أنال اللـــه عثرتكم
من غفلة ألبستكم ملبس العار (١)

ويعـــزل إسماعيل فى ســـنة ١٨٧٩ ويتـــولى الحـــكم بعـــده توفيق الذى تـــولى من ســـنة ١٨٧٩ الى ســـنة ١٨٩٢ وفى خـــلال حكمـــه وقـــع الاحتلال الإنجليزى على مصـــر ثـــم تبعه الخديوى (عبـــاس حلمى الثـــانى) الذى امتـــد حكمـــه من ٨ ينـــاير ســـنة ١٨٩٢ م الى ١٨ من ديسمبر ســـنة ١٩١٤ م ـــ بعـــد موت مصطفى

---

(١) ديـــوان صـــالح مجـــدى ص ١٨٠ ـ القاهـــرة ١٣١١ هـ .

كـامل ـ عندما أعـلن عـزله وأعلنت الحمـاية البريطانية لمصر وأعـلن معهـا زوال السـيادة التركيـة(٢) .

عـاش الزعيـم المـرثى هـذه الأحداث وعاصرها فشـب وسـط أحـداث الاستعمار الإنجليزى فى مصـر وتدخله السـافر فى شئونها فى وقت كـاد المصريون يستسلمون فيـه لليأس والقنوط بعـد هزيمـة عـرابى ودخـول الاحتـلال الإنجليزى البـلاد ومماطلته فى الوفـاء بوعوده المتكررة بالجـلاء عن مصـر « وتخلى الدول الأوربية عن المسـألة المصرية تدعهـا لانجلترا تصرفها كمـا تشـاء وإلغـاء الجيش المصرى والاستعاضة بجيش ضئيل هـزيل قليـل العـدد والعـدد تهيمن عليه السيطرة الإنجليزية وخضـوع الحكومة المصرية لمشـيئة بريطانيا وإلغـاء الدسـتور الذى صـدر سـنة ١٨٨٢ م ـ فى وزارة البـارودى ـ وتأليف مجلس للشورى ضعيف الحـول عاجـز الطـول وجنـود (لـورد كرومـر) على صـدر مصـر جثـوم » (٣) .

وعلى الرغـم ممـا نعـله الاستعمار عقـب الاحتلال لقتـل الروح المعنوية للشعب فـإن مصـر لم تعدم بعض أبنائها المخلصين الذين كشفوا نوايـا الاستعمار وأظهـروا حيـله المـاكرة وأساليبه

---

(٢) انظـر الاتجاهات الوطنيـة فى الأدب المعـاصر ، د. محمـد محمـد حسـين ج ١ ص ٦ ـ القاهـرة ١٩٥٤ ، وتطـور الأدب الحديث د. احمـد هيـكل ص ١٠١ القاهـرة سـنة ١٩٦٨ .

(٣) مصطفى كـامل للرافعى ص ٢٦ ـ القاهـرة سـنة ١٩٥٠ .

الخبيثة ودافعوا عن حق وطنهم فى حياة حرة كريمة فظهرت النداءات الحرة والدعوات الاستقلالية التى تطالب بجلاء المستعمر الدخيل ، وتمنت مصر على لسان زعمائها الأحرار أن تحظى بالحرية التى قضى عليها الاستعمار غبداً النضال السياسى من أجل جلاء الاستعمار ومقاومة الاحتلال غير أنه أخذ اتجاهين مختلفين :

الاتجاه الأول يلونه حماس دينى فيرى أن المشكلة الأولى هى مشكلة جلاء الإنجليز وإنهاء الاحتلال ولكن مع الإيمان بأن الجامعة الإسلامية هى طريق القوة وبأن الولاء للخلافة ولاء ضرورى تفرضه فكرة الإيمان بضرورة قيام جامعة إسلامية تتكتل لتواجه خطر الاستعمار .

وكان يمثل هذا الاتجاه الحزب الوطنى ويقوده مصطفى كامل الذى وهبته العناية الإلهية ابناً من أبر أبناء مصر وزعيماً من أخلص الزعماء ضاق ذرعاً بأحداث الاستعمار وأساليب القهر والإرهاب التى يتبعها المستعمر اللئيم مع شعب لا يملك من السلاح إلا ايمانه بالله .

أما الاتجاه الثانى فقد كان يلونه حماس قومى إذ يرى أن التكتل ووجوب جمع المسلمين تحت فكرة الجامعة الإسلامية وعدم الانفصال عن الخلافة أمر غير ممكن بل إن الانفصال عن الخلافة واجب خاصة بعدما كان من فساد الخلفاء الأتراك وأنه لا ولاء إلا لمصر ولا عمل الا من أجل

« مصـــر للمصريين » وأن إخـــراج الإنجليـــز من مصـــر واجـــب ولكن يجب أن يســـبقه إعـــداد الشـــعب لحـــكم نفســـه وتأهيله لتحمـــل المسئولية وذلك بتثقيفـــه وتدريبه على نظـــم الحـــكم الحديثـــة •

ومن هنـــا شـــغل أصـــحاب هـــذا الاتجـــاه أنفسهم أولا بالإصلاح الفكرى والاجتماعى والسياسى وعمـــلوا على أن يقـــوم فى مصـــر حكم ديمقراطى فيـــه وزارة من المصريين وفيـــه (برلمان) يمثـــل الشـــعب ويراقب أعمـــال الـــوزارة •

وكـــان هـــذا الاتجـــاه ممثـــلا فى حـــزب الأمـــة ويتزعمـــه « لطفى الســـيد » و « قاســـم أميـــن » كمـــا كـــان يمثـــله أيضا كبـــار المـــلاك الذين استمدوا ثقافتهـــم الأعـــلى من حضـــارة الغرب فنـــادوا بفصـــل الدين عن الدولـــة • وقـــد نجـــح هـــذا الاتجاه أعنى الاتجاه الثـــانى ـــ من الناحية السياسية واستطاع أن يتغلب على الاتجـــاه الأول بقـــوة نفـــوذ أعضـــائه لكونهم من الأثريـــاء أصـــحاب الجـــاه والسلطان وساعدهم على ذلك ما أصـــاب أصحاب الاتجـــاه الأول من هـــزائم أضعفت قوتهـــم وقللت أعوانهم (٤) •

ومن تلك الهـــزائم :

١ ـــ معـــاداة الخديوى (عبـــاس حـــلمى) لهـــم بعـــد أن انقلب على الوطنيين وهـــادن الإنجليـــز •

---

(٤) أنظـــر تطـــور الأدب الحـــديث فى مصـــر د• احمـــد هيـــكل ص ٩٩ ـــ ١٠٥ •

٢ ــ تخلى فرنسا عن مؤازرة الوطنيين ضد بريطانيا فى الاتفاق الودى الذى تم بين الدولتين سنة ١٩٠٤ م والذى يقضى بإطلاق يد بريطانيا فى مصر مقابل إطلاق يد فرنسا فى المغرب .

٣ ــ مناداة بعض الأتراك أنفسهم بترك فكرة الخلافة .

٤ ــ وأخيرا ما كان من تخلف فى تركيا وفساد أخلاقها مما أوجد شعورا بعدم الارتياح الى الارتباط بها .

وإن كان أصحاب الاتجاه الثانى ــ أعنى حزب الأمة ــ قد نجحوا فى التغلب على أصحاب الاتجاه الأول من الناحية السياسية فقد نجح مصطفى كامل ــ وكان لا يزال فى ريعان الشباب ــ فى غرس روح الوطنية فى نفوس الشباب وربى فيهم روح الجهاد ونمى فيهم الدعوة الى المطالبة بالحاح الى دستور تحكم بواسطته البلاد حكما ديمقراطياً سليماً يستمد قوته من روح الإسلام ومبادىء الشريعة الغراء .

وكان من ثمرة جهاده على مستوى العالم الإسلامى أن نجحت جمعية (الاتحاد والترقى) فى جهادها لنيل الدستور الذى كثيرا ما نادى به .

والجدير بالذكر أن « عباساً » كان يشجع الدعوة الى الدستور . وذلك أنه تولى عرش مصر بعد هزيمة

الأمة فى الثورة العرابية غير راض عما اقترفه جده « إسماعيل » من سرف وترف وديون أسيفاً لما فعله أبوه « توفيق » من استعانته بالإنجليز وقد جاء الى مصر بعد أن تعلم فى (فينا) وارتوى بأفكار النهوض بأمته وإشراكها فى شئون الحكم فوجد الشعب والشباب المستنير يقدر فيه هذه المشاعر ويتلقاه بالحماسة والإكبار • وقد وجد فى الزعيم الشاب مصطفى كامل الشخصية الفذة والحماسة المتقدة الملتهبة فقربه إليه وأمده بالمال وتعاهدا معاً على الجهاد لتخليص الوطن من براثن الاحتلال (٥) •

ولكن حماسة الخديوى انطفأت منذ عقدت انجلترا مع فرنسا الاتفاق الودى سنة ١٩٠٤ م حيث ظهر انحيازه الى الإنجليز فهاجمه مصطفى كامل (٦) •

هذا عن الحياة السياسية إبان عصر الزعيم الفقيد ، أما عن الحياة الفكرية فى ذلك العصر فقد اقتصر الاهتمام بالتعليم — عدا الأزهر — على اللون الذى يخرج فريقا من الموظفين الذين يعملون تحت رئاسة الإنجليز فصارت المدارس لا تعلم إلا ما يعد للوظيفة الحكومية وغدا التعليم عاجزا عن أداء دوره وأصبح الحال كما وصفه شوقى :

مدارس لم تهيئهم لكسب
ولم تبن الحياة ولا النظاما

---

(٥) انظر مصطفى كامل للرافعى ص ٣٠٦ وما بعدها .
(٦) انظر مصطفى كامل للرافعى ص ٣٢٩ .

وكـان من أبـرز مظاهـر تخلف التعـليم فى هـذا الوقـت(٧) انخفاض نسـبته فى الأربـع والعشرين سـنة الأولى من الاحتلال الى النصـف إذ كانت نسـبة المتعلمين عـام ١٨٨٣ م نحـو ١٦٪ فصـارت سـنة ١٩٠٧ م ٨٪ فقـط(٨) . هـكذا كـان التعليـم فى مصـر لعهـد (مصطفى كـامل) .

حيث تفتحت عينـاه على نظـام استعمارى يسيطر بجبروته على أبنـاء الشـعب بمـا يفـرض عليهـم من منـاهج بعيـدة كـل البعـد عن روح الوطنيـة ليظلوا منقادين لرؤسائهم الإنجليز فى المصـالح والدواوين إذ طغت لغـة المستعمر الدخيـل على اللغة العربية القومية وكـان من أثـر ذلك أن انتشرت الثقـافة الإنجليزية فى معظـم مراحـل التعليـم .

يقـول الرافعى : « ومن مسـاوىء الاحتلال وخاصـة فى عهـد « كرومـر » أنـه اقتسـر الطـلاب على تعـلم اللغـة الانجليزية ليحـارب اللغـة العربية وألغى البعثـة المصرية فى فرنسا فى أغسطس سنة ١٨٩٨ م (٩) » . كـذلك انتشرت المدارس الأجنبية التى عملت على صـبغ طلابهـا بالصبغة الأجنبيـة غـير عابئـة بثقـافة مصـر وتقاليدها ودينهـا . وكـان الاحتـلال يهمـه أن يكثـر عددهـا لتتفكك الروابط بين الأمـة وتختلف الأهداف فتظل البـلاد فى قبضـته وتحت سيطرته ، كمـا أخـذ يدعـو ـ هـو

---

(٧) أى بعـد انتهـاء حـكم اسماعيل .
(٨) تطـور الأدب الحـديث فى مصـر د. أحمـد هيـكل ص٩٤ .
(٩) مصـطفى كـامل للرافعى ص ٥٤ .

وأذنابه من الخونة المأجورين ـ الى اتخاذ العامية لغة للكتابة بدعوى أن الفصحى فيها صعوبة يعانيها الخاصة أكثر مما يعانيها العامة وأنها عاجزة عن تأدية رسالتها الأدبية والعلمية .

وقد أثارت هذه الحملة الجائرة ضد اللغة العربيه سخط الأدباء والكتاب ورجال الوطنية فقابلوها بحملة أشد منها وألفت جمعيات من أدباء مصر لنشر الفصحى والذود عنها ومقاومة اللغة العامية وطغيانها ، وقد أسهم الشعراء فى مقاومة هذه الحملة الظالمة ضد العربية وثاروا من أجل الفصحى والاعتداء عليها . من ذلك ما قاله حافظ دفاعاً عن الفصحى مشيرا الى حملات الإنجليز وأدعيائهم عليها ووصفهم إياها بالجمود والتخلف مبيناً أنها مسايرة لركب التطور الثقافى والحضارى فى كل جيل ، وأن لغة وسعت كتاب الله لفظاً وغاية لا يعجزها تنسيق أسماء المخترعات مستنهضاً همم الغيورين على أن يعملوا على التئام جراح الفصحى قبل أن تستفحل تلك الجراح فيقضى عليها وهى مازالت فى شباب حياتها ، وألا يلتفتوا الى الدعوات الخبيثة التى تنادى بأن سبب تأخر المصريين يرجع الى تمسكهم بأساليب العربية القديمة ، وأن لا نهضة لهم الا إذا كان نتاج مفكريهم باللغة العامية إذ يقول على لسانها :

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى
عقمت فلم أجزع لقول عداتى

وسعت كتـاب الله لفظـاً وغـاية
وما ضـقت عن آى بـه وعظـات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلـة
وتنسـيق أسـماء لمخترعـات

الى أن يقـول :

أيطربكم من جانب الغـرب ناعب
ينادى بوادى فى ربيـع حيـاتى

ثـم يقـول :

الى معشر الكتاب والجمع حـافل
بسطت رجائى بعد بسط شكاتى(١٠)

وقـد رأى الزعيـم مصطفى كـامل أنـه يجـب أن تعبـأ الجهـود الوطنيـة لإنشـاء المدارس القوميـة ونشـر الثقـافة العربيـة من أجـل مقـاومة التيـار الثقافى الأجنبى وإجهاضـه فدعـا أعيـان البـلاد وأغنياءهـا الى بذل الجهود فى سبيل إقامة صـرح العـلوم والمعـارف فى أرجـاء مصـر من أجل ان تقـوى الروح الوطنيـة فى نفـوس الجيـل الجـديد .

وكـان من أثـر دعـوته الى نشـر التعليم القومى أن هزت

---

(١٠) ديـوان حـافظ ج ١ ص ٢٥٣ ـ ص ٢٥٥ . القاهرة الهيئـة العـامة للكتـاب سـنة ١٩٨٠ م .

الأريحية القادرين من أبناء الشعب الى تأسيس المدارس الوطنية التى توجه النشء الجديد الى التربية القويمة المبنية على أساس من تعاليم الدين الإسلامى إذ كان يعتقد أن أساس التربية هو الدين على حد قوله : « وكل أمة يتربى أبناؤها على غير قواعد الدين يكون عرضة للدمار والانحطاط وقد رأيت بنفسى فى أغلب مدارس أوربا اهتماماً فائقا بتعليم الدين المسيحى للناشئين لذلك عولت على جعل الغرض الأول من التعليم تربية الملكة الإسلامية عند التلاميذ وتمكين مبادىء محبة الوطن والاتحاد والائتلاف من نفوسهم وتقديم اللغة العربية على كل لغة » (١١) .

وقد توجت تلك الجهود بفكرة إنشاء الجامعة المصرية وتحمس لها رجال مصر المخلصون الذين شاركوا فى الاكتتاب لها بأموالهم ، كما شارك الشعراء بأقوالهم وافتتحت الجامعة فى الحادى والعشرين من ديسمبر عام سنة ١٩٠٨ م عقب موت الزعيم بعشرة أشهر بعد حياة دامت ثلاثاً وثلاثين سنة ونصف السنة تقريبا .

وقد استطاع فى هذا العصر القصير أن يغير كثيراً من وجه الحياة السياسية المصرية فقد بدأ حياته والاحتلال البريطانى مستقر ناعم البال مطمئن الى رخاء البلاد بما وفرته لها من نظم وأموال وكان الدين الحنيف الاحتلال فى أمانى

(١١) المؤيد عدد ٢٤ أبريل سنة ١٩٠٨ .

غـيروا مواقفهم ، بـدأ حيـاته وهـو تلميذ صـغير ثـم طـالب مبتدىء ليس لـه من الأعوان إلا عـدد ضـئيل ثـم أصبح صديق العظمـاء والأدبـاء والشعراء والحـكام والـوزراء(١٢) « لـم يكن مصطفى كـامل زعيمـا وطنيـاً فحسـب ، بـل كـان زعيمـاً سياسيا ناضـج الفـكر صـادق النظـر واسـع الاطلاع ، ملمـاً بأسرار السياسة الدولية ، وهـذه ميـزة لـه على كثير من الزعماء الذين سـبقوه (فى الثـورة العرابية) ، أو تولـوا الزعـامة من بعـده »(١٣) .

لـذا فقـد كـان مـوته فجيعـة هـزت أركـان البـلاد فأدمت القـلوب وعصـرت الأفئدة وأثارت العواطف وحركت كوامن الإحساس عند الأدبـاء واهتـز لهـا وجـدان الشعراء من أمثـال إسماعيل صـبرى والشيخ على الليثى والشـيخ على الغاياتى وأحمد محـرم وحـافظ وشـوقى ومطـران وغيرهـم .

---

(١٢) مصـطفى كـامل . فتحى رضـوان سلسلة اقـرا ، دار المعـارف عـدد ديسمبر سـنة ١٩٧٤ م ص ٢٦٥ .
(١٣) مصـطفى كـامل للرافعى ص ٤١٧ .

(٢)

مصطفى كامل فى وجدان شوقى

رثى شوقى كل من كانت له مكانة أدبية أو سياسية أو اجتماعية فى عصره ممن كانت له بهم صلات •

رثى من الشعراء والأدباء : صبرى وحافظ وجورجى زيدان والمنفلوطى ويعقوب صروف ومحمد المويلحى • ومن الزعماء : الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وبطرس غالى ورياض باشا وقاسم أمين وعبد العزيز جاويش ومحمد فريد • وفى مقدمة هؤلاء مصطفى كامل ، ورثى من زعماء العرب والإسلام الملك حسين بن على ملك الحجاز ومحمد على الزعيم الهندى وعمر المختار المجاهد الليبى وغيرهم •

وكانت مراثيه — فى الغالب — صورة من حياة الراحل نتحدث عن شئونه الخاصة والعامة ثم يستطرد منها الى الحديث عن أحداث العصر ومنزلة المرثى بين مجتمعه وشعبه فإذا كان المرثى مثلا زعيما مسلما أو عربياً صور حالة شعبه وما يلاقيه العرب والمسلمون محمساً شباب العروبة والإسلام على التمسك بالمبادىء الاسلامية والقيم العربية •

وقد أكثر شوقى من المراثى ورثاؤه يزيد على مديحه لأن مديحه قصره على طائفة معينة هى طائفة الأمراء والخلفاء والزعماء أما رثاؤه فقد شمل عددا كبيرا من

مختلف الطبقات وقد عابوا عليه إسرافه فى كثرة رثائه فرد عليهم بقوله :

يقولون يرثى الراحلين فويحهم
أأملت عند الراحلين الجوازيا (١)

وكان يرى أن رثاءه لمن يرثيهم حق لهم واجب عليه من باب الوفاء لهم على حد قوله :

يقولون يرثى كل خل وصاحب
أجل إنما أقضى حقوق صحابى (٢)

من هذا المنطلق رثى شوقى مصطفى كامل حيث رأى أن رثاءه حق واجب يفرضه عليه ما كان بينهما من علاقات .

« فقد كان صديقا حميماً للفقيد وكلاهما معجب بصاحبه أيما إعجاب . لا غرو فهما صنوان وفرسا رهان ، هذا فى ميدان الوطنية والجهاد وذاك فى دولة الشعر والبيان . وكان الفقيد يصف « شوقى » بأنه « الغدير الصافى فى ألفاف الغاب يسقى الأرض ولا يبصره الناظرون » (٣) وكان يخصص لقصائده أسمى مكان فى اللواء وفى ذلك يقول فى مرثاته الخالدة :

---

(١) الشوقيات ج ٣ ص ١٨١ أحمد شوقى ، التجارية الكبرى بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م .
(٢) الشوقيات ج ٣ ص ٢٩ .
(٣) انظر مصطفى كامل للرافعى ص ٣٨٤ .

قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى
وتجـل فـوق النـيرات مكـانى (٤)

وزار الفقيـد وهـو على فـراش مرضـه الأخـير ، فطلب إليـه أن يرثيـه وفى ذلك يقـول :

وجعـلت تسألنى الرثـاء فهـاكه
من أدمـعى وسرائرى وجنـانى (٥)

وكـان لدعـوة مصطفى كامل أثرهـا فى شـعر شـوقى : من ذلك أنـه لمـا دعـا الأمـة سـنة ١٩٠٢ الى الاحتفـال بالعيـد المئيتى لولاية محمـد عـلى لبى شـوقى على الفـور دعوته وألقى قصـيدة تعـد من غـرر قصـائده (٦) .

وكـان شـوقى يكبـر فى مصطفى كـامل جهـاده الوطـنى الشريف ويقـدر فيـه كفـاحه السياسى العنيف ويجـل فيـه عظيم بلائـه فى خـدمة العـروبة والإسـلام فى حقبـة أسدلت ستورها السـوداء على عالمنـا العـربى والإسلامى :

فـكم محنـة أعقبـت محنـة
وولت سراعـاً كرجـع الصـدى

لـذا فقـد هـز مـوته وجـدان شـوقى فرثـاه عقب وفاته بأيـام بقصـيدة صـور فيهـا فى دقـة دقيقـة إحساسه المتفجع

---

(٤) الشـوقيات جـ ٣ ص ١٥٩ .
(٥) الشـوقيات جـ ٣ ص ١٥٩ .
(٦) انظـر مصطفى كـامل للرافعى ص ٣٨٤ .

فى فقد صديق انصبا والشباب معبراً فيها عن الحزن العميق الذى لا يكون إلا لزعيم يعرفه المشرقان وليس لصديق فحسب فالأسى عم العالم بأسره فى مشارق الأرض ومغاربها وأسف لفقده القريب والبعيد والناس كلهم فى مأتم خاصة العالم الإسلامى فقد كان حامى حمى الإسلام المدافع عن المسلمين والنصير لقضاياهم ، ولهذا لما وصل الى البقاع المقدسة نبأ وفاته — وكان الوقت موسم حج — علا الحجاج من جميع أقطار المعمورة حزن وحسرة بل إن الأسى والحزن لحق الجمادات فالحرمان فى مكة والمدينة فزعا وأصابهما الهلع والفزع وكذلك السكة الحديد التى كان الغرض منها أن تربط بلاد اشام ومصر بالحجاز حزنت لفقده أشد الحزن لأنه كان من أكبر الدعاة الى إنشائها وكان يقصد من وراء هذا الجهد الذى بذله خدمة دين الله وطاعة لرسول الله — ﷺ — وامتثالا لمرضاة ولى الأمر وهو السلطان العثمانى يومذاك • وذلك كله ساقه شوقى فى حديثه الى مصطفى كامل حين استهل قصيدته (٧) بقوله :

المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما فى مأتم والدانى
يا خادم الإسلام أجر مجاهد
فى الله من خلد ومن رضوان
لما نعيت الى الحجاز مشى الأسى
فى الزائرين وروع الحرمان

---

(٧) الشوقيات ج ٣ ص ١٥٧ .

السكة الكبرى حيال رباهما
منكوسة الأعلام والقضبان

لم تألها عند الشدائد خدمة
فى الله والمختار والسلطان

وقد عبر شوقى فى الأبيات التالية عما يعتلج فى نفسه وما يجيش به صدره من ألم لفقد صديقه فأراد أن يسرى عما أصابه من حزن دفين ولما ألم به من أسى عميق لفقد زهرة الشباب فتوجه بالخطاب الى مصطفى كامل مذكرا بأن عزاءه لفقد صديقه هو أن الناس جميعا سيرحلون يوما عن هذه الحياة الدنيا ولا يأخذون منها شيئا غير أنه وإن رثاه فإنما يرثى فيه الشباب المتدفق ولا يريد أن يوجه الى المنون الذى اختطفه أو الى المرض الذى أودى به الى الرحيل عن الدنيا الفانية لا يريد الشاعر أن يعاتب هذا ولا ذاك لأن العتاب لهما تكريم ولا يستحق الجانى تكريماً • يقول :

جار التراب وأنت أكرم راحل
ماذا لقيت من الوجود الفانى

أبكى صباك ولا أعاتب من جنى
هذا عليه كرامة للجانى

ثم يعرض شوقى لأثر الصدمة التى هزت وجدان الناس فأصابتهم دهشة فرقت آراءهم ووزعت أسئلتهم عن

السبب الذى أفضى به الى الموت . هل كان مرض السل هو السبب أم توقف القلب عن الحركة فجأة ؟ أم سرى مرض السرطان فى خلايا دمه ؟ أم ماذا ؟ لقد اختلف الناس فى هذا ولكن « شوقى » يقسم والله يشهد أن ذكاءه المتوقد ونشاطه الجم وعمله الدؤوب وبطولته الخارقة وجهاده المضنى من أجل أن يسعد أمته كل هذا كان السبب فى دنو أجله والتعجيل بانقضاء عمره :

يتساءلون أبا لسلال قضيت أم
بالقلب أم هل مت بالسرطان

الله يشهد أن موتك بالحجا
والجد والإقدام والعرفان

وإذا أخذ شوقى بحظه من أسلوب الخطاب سؤالا وتقريرا رجع ليذكر أهم صفة كان يتحلى بها مصطفى كامل وهى الأخلاق الفاضلة التى أرسى دعائمها وأقام صرحها شامخاً كالطود فإذا هو يقول :

إن كان للأخلاق ركن قائم
فى هذه الدنيا فأنت البانى

ثم يرجع بالخطاب الى المرثى ليحدثه عن آمال أمته التى قضى نحبه وأفنى عمره من أجلها وهل هناك حديث أحب الى المرثى من أن يحدثه الشاعر عن الآمال والأمانى التى يطمح فى تحقيقها ؟ ويتساءل : هل هذه الأمانى مازالت

باقيـــة فى قلبـــه تحت الثـــرى ؟! ويجيب الشـــاعر : نعـــم إنهـــا ستبقى أبـــد الدهـــر لأنهـــا احســـاس قـــائم وشعور حى ووجدان قـــوى ملتهب ولـــن يمـــوت هـــذا الوجـــدان بمـــوت صاحبه ،

بالله فتش عن فؤادك فى الثـــرى
هـــل فيـــه آمـــال لنـــا وأمانى ؟

وجدانك الحى المقيم على المـــدى
ولـــرب حـــى ميت الوجـــــدان

حقـــاً إن من النـــاس بيننـــا أحيـــاء لكن لا احساس عندهم ولا آمـــال غـــير أن منهـــم المجـــد النشـــط الذى يجـــرى لغـــاية يدركها وآمـــال يســـعى جاهدا لتحقيقها وخـــلد يبقى أثـــره ويذيع فى الـــورى ذكـــره فالنـــاس فى الحيـــاة صنفان : إمـــا ساع يعرف اتجاهه من أجـــل تحقيق هـــدف ينشـــده وعـــرض يطلبه وهـــو الأبى الشجاع ــ وفى هـــذا إشادة بمصطفى كـــامل ــ وامـــا جبان تائـــه يســـير على غـــير هـــدى ــ وفى هـــذا تعريض بالخـــونة أذناب الاستعمار حيث كـــانوا يعارضون مبـــادىء المـــرثى ــ وفى هـــذا يقـــول :

النـــاس جـــار فى الحياة لغـــاية
ومضلل يجـــرى بغـــير عنـــــان

والخـــلد فى الدنيـــا وليس بهيـــن
عليـــا المراتب لـــم تتـــح لجبـــان

ويذكر أن المرثى خلد بشجاعته النادرة وبأخلاقه الفاضلة وهممه العالية ، وله فى رسل الله القدوة الحسنة . فلو أن رسل الله — عليهم الصلاة والسلام — جبنوا ما نجحوا فى دعواتهم ولما بلغوا المجد والرفعة ، وما بلغوا ذلك كله إلا بالأخلاق الكريمة :

فلو ان رسل الله قد جبنوا لما
ماتوا على دين من الأديان

المجد والشرف الرفيع صحيفة
جعلت لها الأخلاق كالعنوان

وتقتضى الأخلاق الكريمة أن يعيش المرء عزيزا غير ذليل . فحياة الذل حياة سقيمة ثقيلة قصيرة وأثقل منها وأقصر عجز الإنسان عن إدراك المعالى :

وأحب من طول الحياة بذلة
قصر يريك تقاصر الأقران

وإذا كان عمر الانسان فى الحياة محدودا وأنفاسه فيها معدودة فكأن دقات القلب عداد يحصى على الانسان عمره :

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوانى

ومادام الأمر كذلك فواجب الإنسان أن يجد لتخليد

ذكـره بالعمـل المثمـر الذى يبقى أثـره ويخـلد بعـد المـات ذكـره والذكـر للانسان عمـر ثـان :

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرهـا

فالذكـر للانسـان عمـر ثـانى

ثـم يعـود مـرة أخـرى الى فقيـد الوطن ليصفه بالطهارة والنقـاء فى كـل حـالة من حـالات حيـاته وفى كل مرحـلة من مراحـل عمـره ، فهـو طاهـر فى صباحه ومسـائه وغـده وأمسه وسـره وعلنـه حتى الخطـرات التى تخطـر على بالـه وفـكره .

كمـا يقلده وسـام الشـرف والبطولة فيصفه بالشجاعة التى ليس نظـير حيـن يخـلع عليـه لقـب المحـارب الذى يدخـل المعـركة فينتصر بغـير سـلاح ، اللهـم إلا سـلاح العـلم الذى لا نصـر الا بـه والذى لا تقـوم دعـائم العمـران إلا عليه ، ولا يستقيم أمـر الحـكم إلا بـه .

وكـان شـوقى كثـير التحـدث الى الأموات يسألهم مكثـرا من النـداء عليهـم فيقـول مخاطبـاً الفقيـد :

يا طاهر الغدوات والروحات والـ

خطـرات والإسـرار والاعـلان

هـل قـام قبلك فى المدائن فاتـح

غـاز بغـير مهنـد وسـنان

يدعو الى العلم الشريف وعنـــده
أن العـــلوم دعـــائم العمـــران

ويتـــابع شـــوقى مخاطبـــة الفقيـــد فيخبـــره بأنـــه مـــات، عـــزيزا مـــكرماً وأن الأمـــة كلهـــا حـــكاماً ومحكومين حزنت لفقده وفجعت فى مـــوته وعلامة ذاك أنهـــا كفنتـــه فى أعـــز ما تملك وهـــو علمهـــا الذى تعتـــز بـــه وتفنى دونـــه ، ولـــم يكن العـــلم حينذاك خفـــاقاً بـــل كـــان منكســـا حزينـــا جزعـــا كمـــا أصيب هـــلاله بهـــلع وفـــزع إذ لـــم يطـــق صـــبرا أن يرى الفقيـــد أشـــجع الشجعان مودعـــاً غـــير آيب يقـــول شـــوقى :

لفـــوك فى عـــلم البـــلاد منكســـاً
جزع الهـــلال على فتى الفتيـــان

وهنـــا يصـــور شـــوقى العـــلم الأحمـــر ـ عـــلم تركيـــا آنذاك حيث كانت مصـــر مازالت خاضـــعة للسلطان العثمـــانى ـ يصـــور العـــلم إنساناً يبـــدى بدل الدمـــع دمـــاً ، ما كـــاد ينزل على العـــلم حتى احمـــر من البـــكاء •

ولـــم يفت شـــوقى أن يمـــس بوجـــدانه وجـــدان النـــاس وعواطفهم يـــوم تشييع الجنـــازة إذ كـــان المشهد مشـــهدا رهيبـــاً فالنـــاس قـــد رفعـــوا النعش وحمـــلوه فـــوق أعناقهم حتى كادوا يصلون بـــه الى عنـــان الســـماء حتى لـــيرى أن فى النعش الشمس والقمـــر • وهنـــا يستطرد شـــوقى الى التـــاريخ كعـــادته فيتخيل صـــورة لنعش الحسين بن عـــلى حينمـــا حمـــله الشيعة فى مشـــهد

رهيب يتيه زهوا واختيالا بين بكاء وحنين ، يتخيل شوقى هذه الصورة فيرسمها للفقيد ثم يرسم صورة أخرى تزيد على ما تخيله فى صورة نعش الحسين فهو يمشى فى جلال وعظمة وعزة وكبرياء ووقار لأنه يحمل جلالين جلال الموت وجلال الفقيد وقد مزج جلال هذا بجلال ذاك حيث يقول :

يزجون نعشك فى السناء وفى السنا
فكأنما فى نعشك القمران

وكأنه نعش الحسين بكر بلا
يختال بين بكى وبين حنان

ومشى جلال الموت وهو حقيقة
وجلالك المصدوق يلتقيان

ويكمل الصورة بمنظر الشعب وهو يشيعه فى جنازة وطنية قل أن شهدت مصر مثلها روعة وجلالا فكم من امرأة كريمة من بيت كريم شقت لمنظر الجنازة ملابسها وكم من حسناء جميلة بكته بدموع غزار • أما الرجال فكانوا فى صمت وكأن على رؤوسهم الطير كحالهم حين كانوا ينصتون له وهو يخطب فيهم وإذا كان من سؤال يسأله بعضهم لبعض فقولهم : من للمنابر بعد موت الفقيد وأى فصاحة نجدها بعد ذلك • وهذا ما عناه شوقى بقوله :

شـــقت لمنظـــرك الجيوب عقـــائل
وبكتـــك بالدمع المهتـــون غـــوانى

والخـــلق حولك خاشعون كعهدهم
إذ ينصـــتون لخطبـــة وبيـــان

يتســـاءلون بـــأى قـــلب ترتـــقى
بعـــد المنـــابر أم بأى لســـان

وهنـــا يظهـــر شـــوقى عاطفتـــه الملتهبـــة وأشجانه الحـــارة التى انطوت على حـــب يحتـــل دن شـــقى بـــل ومن الناس جميعاً سويداء قلوبهـــم فينطلق لســـانه معبـــرا عن هـــذا الوجدان العميق وتلك العاطفـــة القـــوية :

لـــو أن أوطـــاناً تصـــور هيـــكلا
دفنـــوك بين جـــوانح الأوطـــان

ثـــم يوضح ما كـــان بينـــه وبين الفقيد من صلات وما فاضت بـــه نفســـه من مـــرارة الألـــم والحـــزن العميق وأنـــه لـــولا أن الأحـــزان غلبتـــه لنظـــم فى رثائـــه قصـــيدة لا يجـــود الزمـــان بمثلهـــا :

لـــولا مغالبة الشجون لخاطرى
لنظمـــت فيـــك يتيمـــة الأزمـــان

ويعجب شـــوقى ما اذى اعتـــراه ودهـــاه كيف عصـــاه الشعر وتأبى عليـــه فـــلم يعـــط الزعيـــم حقـــه من الرثـــاء والوفـــاء دع

أنه هو الذى رثى العظماء فأعاد الزمان سيرتهم الأولى وأصبحت خالدة على مر الزمن وكيف ؟ مع أن مصطفى كامل كان يتيه فخراً بشعره ، وأن مكانته عنده كانت ترتفع فوق الثريا فيقول :

وأنا الذى أرثى الشموس إذا هوت
فتعود سيرتها الى الدوران
قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى
وتجل فوق النيرات مكانى
ماذا دهانى يوم بنت فعقنى
فيك القريض وخاننى إمكانى

ويختم شوقى قصيدته بمآثر الفقيد التى ستظل فى الوجدان وأخص هذه المآثر التى تركها حبه لمصر فيتوجه إليه بالنداء بما يفيد هذه الخاصة ، فيقول : يا صب مصر ويا شهيد غرامها هذا ثراها الذى تحبه لم تحرمه فهو الأمان فنم بين ثناياه قرير العين هانئها وإن كنت قد رحلت فى زهرة شبابك فإنك ستكون القدوة المثلى لشباب مصر يسيرون على منوالك ، فاخلع على شباب مصر شبابك ، وارتد أنت ملابس أهل الجنة ، فلعل شباب مصر يصلون بها بعدك الى ذروة المجد والكمال ، فيتحقق بهم ما كانت تؤمله وترجوه والأمل معقود على الشباب لتحقيق ما كنت تصبو إليه ، فقد غرست فيهم حب مصر وعلمتهم كيف تكون الحياة الحرة الكريمة وإن مصر الحزينة لفقدك من أدناها

الى أقصاها ستكون كلها وترابها حانية لعظامك بارة بك ، ثم يقسم يميناً أنك للتراب طهارة ولطهارتك وتزاهتك وجلالك يخشى الملكان سؤالك ، وفى ذلك يقول :

يا صب مصر ويا شهيد غرامها
هذا ثرى مصر فنم بأمان

اخلع على مصر شبابك عالياً
والبس شباب الحور والولدان

فلعل مصرا من شبابك ترتدى
مجدا تتيه به على البلدان

علمت شبان المدائن والقرى
كيف الحياة تكون فى الشبان

مصر الأسيفة ريفها وصعيدها
قبر أبر على عظاءك حانى

أقسمت أنك فى التراب طهارة
ملك يهاب سؤاله الملكان

نقد وتحليل :

كان شوقى قد نشر مرثيته هذه يوم الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٩٠٨ م بجريدة اللواء ، وكانت وفاة مصطفى كامل عصر الاثنين العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ م .

وقد استحسنها بعض النقاد وعدوها أعظم مرثاة معبرة عن شعور شوقى أصدق تعبير وأنها تنم عن عاطفة حارة ووجدان دلتهب وشعور مؤثر حزين • ومنهم الرافعى الذى يقول : « وممن رثاه من أعلام الأدب شوقى بك أمير الشعراء وكان من أصدق أصدقائه وأكثرهم إعجاباً به وقد حزن عليه حزناً شديدا وترجم عن شعوره بقصيدة تجلت فيها حكمة الشعر وروعة البلاغة نشرت يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨ م عقب وفاة الزعيم بثلاثة عشر يوماً فأثرت فى النفوس تأثيرا عميقاً وجددت أحزان الأمة ننشرها هنا لأنها قطعة من تاريخ الزعيم وصورة حية بريشة أمير الشعراء » (٨) • ويقول فى موضع آخر : « وتدل مرثاة شوقى على مبلغ ما يكنه للفقيد من الإعجاب والاكبار وتعد قصيدته هذه أعظم مرثاة فى تاريخ الأدب العربى » (٩) • فى حين وصفها البعض الآخر ببرود العاطفة وفتور الوجدان ورأوا أن « شوقى » قد تأثر فى رثائه هذا بسياسة القصر حينذاك وهى سياسة الحيدة والتحفظ أمام كل ما يؤذى الإنجليز أو يغضبهم وأنه بعد عن السياسة كل البعد ولم يتطرق إليها إلا بحذر بالغ نائياً عن الحديث فى الجانب القوى من حياة مصطفى كامل وأثره فى النهضة الوطنية فهو قد رثى الفقيد صديقا ولم يرثه زعيماً وطنيا وإماماً من أئمة الجهاد وكان شوقى كلما

---

(٨) مصطفى كامل للرافعى ص ٢٧٤ .
(٩) المرجع نفسه ص ٣٩٠ .

اقتـرب فى هـذه القصـيدة من الناحيـة السياسية إذا هـو ينتقل الى شىء آخـر وبذلك يتخلص من السياسة قبـل أن يتورط فيهـا من ذكـر صلابة مصطفى وعـدم مهادنته الغاصبين فيختتم القصيدة عـلى عجـل وكـأنه ينجـو من أمـر خطـير وشـر مسـتطير بقـوله :

مصـر الأسيفة ريفهـا وصعيدها
قبـر أبـر على عظـامك حـانى

أقسمت أنك فى التـراب طهـارة
مـلك يهـاب سؤاله الملـكان(١٠)

وإذا كـان البعض الآخـر يـرى أن القصـيدة من الناحيـة الفنيـة مفككة الأوصـال لا تؤلف بينهـا وحـدة غـير الـوزن والقافية وأنهـا كالرمل المهيـل لا يغـير منـه أن تجعـل عاليـه سافله أو وسـطه فى قوتـه وأن معانيهـا مسروقـة مطروقة مرذولة وأن التقليد فيهـا ظاهـر وأنهـا خـلت من شـعور فياض يتدفق على موضـوعه الى غـير ذلك من المؤاخذات التى تتسـم بالتجنى والتحـامل والغـض من شـأن شـوقى فـإن المتـأمل فى القصيدة يـرى أن كـل بيت فيهـا ـ كما قدمنـا ـ لـم يخـل من الإشادة بذكـر مصطفى كامل زعيمـا مخلصـاً ووطنيا صادقاً وأن القصيدة تنـم عن عاطفـة حـارة وشـعور صـادق نحـو المـرثى وأن

---

(١٠) أنظـر : شـوقى شـاعر العصـر الحـديث ، د. شوقى ضـيف ص ١٤٥ ، ووطنيـة شـوقى للحـوفى ص ١٠٤ ، وتطـور الأدب الحـديث لأحمـد هيـكل ص ١٢٢ .

« شـوقى » كـان يكبـر فى مصـطفى كـامل وطنيتـه الصادقة وإيمـانه برسالته وأخـلاقه وصفاته التى أبرزهـا الشجاعة الأدبية والصـدق مـع النفس والصـبر وقـوة العزيمـة والثبات والترفع عن الصـغار وعـلو الهمـة وقـد ذكـر شـوقى كـل ذلك فى قصـيدته ولاشـك أن تلك الصـفات هى مقومات الزعـامة الوطنية على أننـا لـو سلمنا بأن القصـيدة من الناحيـة الفنيـة خـلت من الوحـدة العضـوية ـ كمـا يقـول العقـاد وزميـلاه (١١) ـ فـإن ذلك شـأن الشـعر العـربى عـامة الى عصر شـوقى .

ولعـل اضطرابها ـ إن صـح ـ جـاء من هـول الفاجعـة التى ألمـت بالشـاعر فضـاق صـدره ولـم ينطق لسـانه ولـم تسـعفه شاعريته بشـعر يفصـح فيـه عن ذوب نفسـه من حرقة الحـزن وهرارة الألـم فـلم يرنـا نفسه باكيـاً منتحبـاً بادى اللوعـة . وقـد أبـان هـو عن حالته تلك حين أخبـرنا متعجبا أنـه لـم يبـن تمـام الإبانـة عمـا يعتلج فى نفسـه وما يجيش فى فـؤاده إزاء هـذا المصـاب الجـلل إذ يقـول :

وأنا الذى أرثى الشموس إذا هوت
فتعـود سـيرتها الى الـدوران

مـاذا دهـانى يـوم بنت فعقنى
فيـك القريض وخاننى إمـكانى

---

(١١) الديـوان للعقـاد والمـازنى ص ١٢٨ وما بعدهـا وشعراء مصـر وبيئاتهم فى الجيـل المـاضى للعقـاد ص ١٦٥ .

وعلى كل حال فإن صح ما قاله بعض النقاد فى هذه القصيدة وخاصة فيما يتعلق بعاطفة الشاعر نحو الزعيم المرثى من أنه رثاه صديقاً حميماً ولم يرثه زعيما عظيما معللين هذا بأن الشاعر كان متأثرا بسياسة القصر فإن « شوقى » قد تدارك ما فاته فى هذه القصيدة ووفى الصديق حقه والزعيم ما يليق به من رثاء فى قصيدة أخرى عدها النقاد من أحسن ما قيل فى رثاء مصطفى كامل حتى الآن بل من أروع الشعر العربى الحديث (١٢) ، وقد قيلت فى الحفل الذى أقيم سنة ١٩٢٥ بمناسبة مرور سبعة عشر عاماً على وفاته ، وقد أبرز فيها وطنيته الصادقة وكشف فيها عن جهاده • وذلك بعد عودته من منفاه وأصبحت الظروف ملائمة لأن يعبر عما يجول فى نفسه صراحة نحو الفقيد ، وقد بدأها بقوله :

إلام الخلف بينكم إلاما
وهذى الضجة الكبرى علاما ؟ (١٣)

تناول فيها وصف ما أصاب البلاد فى سنة ١٩٢٤ م من انقسام وتشاحن وتناحر ، كما عرج على نقد سياسة الحكم فى مصر منددا بمواقف الزعماء الذين تسلطت عليهم الشهوات وتملكت من رقابهم الأهواء والأغراض •

---

(١٢) فى الأدب الحديث ، عمر الدسوقى ج ٢ ص ٩٩ .
(١٣) الشوقيات ج ١ ص ٢٢١ .

ثم انتقل من ذلك الى ذكرى الفقيد فوفاه حقه بما يليق به من إجلال وتكريم واستطاع أن يقول فيها ما لم يستطع قوله من قبل ، وقد أبرز فيها الجانب الوطنى للزعيم وصوره بالصور التى افتقدتها قصيدته السابقة .

وكان من عادة شوقى فى قصائده التى ينظمها فى المناسبات المختلفة أن يشير الى الأحداث الجارية وأن ينقد ما يراه من نواحى النقص الاجتماعى والسياسى فى محاولة لتوحيد الصف ورأب الصدع وتوجيه الساسة والقائمين على الأمر الى ما فيه صلاح الأمة . وقد جعل شوقى هذا التصوير لحال الأمة إطارا لكلمة الوفاء التى سيتجه بها الى « شهيد الحق » مصطفى كامل ، شاكيا إليه ما أصاب البلاد من محن وهوان فصار الشعب أضيع من الأيتام على موائد اللئام مشيرا الى قصر المدة التى أقامها فى هذه الحياة . فقال :

شهيد الحق قم تره يتيماً

بأرض ضيعت فيها اليتامى

أقام على الشفاه بها غريبا

ومر على القلوب فما أقاما

ولم يفت « شوقى » أن يشير الى قلق الناس جميعا لمرضه فتملكهم فزع شديد وخوف على حياته حتى إنه من شدة الخوف أصاب مهجهم الإعياء والاعتلال إذ يقول :

سـقمت فـلم تبت نفس بخـير
كـأن بمهجـة الـوطن السـقاما

ولـم يفتـه كـذلك أن يوضح عاطفـة الشعب نحـو الزعيم المرثى وقـد تجلت فى ذلك المنظر الرهيب يـوم تشييع الجنازة (١٤) فيقـول :

ولـم أر مثـل نعشك إذ تهـادى
فغطى الأرض وانتظـم الأنامـا

تحمـل همـة وأقـل دينـا
وضـم مـروءة وحـوى زمامـا

وهنـا يعـود شـوقى الى ذكـريات المـاضى وما تربطـه بالمـرثى من صـلات مشـيرا الى جهـاد مصطفى كـامل فى مجال الوطنيـة وجهـره بالحـق لا يخشى فيـه لومـة لائـم وما كـان

---

(١٤) يقـول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتـابه (مصطفى كامل باعث الحـركة الوطنيـة ص ١٦٧ وما بعدهـا) : « كـان الاحتفـال بتشـييع جنـازة مصطفى كـامل يومـا مشهودا فى تاريـخ الحـركة الوطنيـة ، كـان مظهـرا رائعـا لشـعور الوطن نحـو الزعيـم ، انبعث من القـلوب المكلومة والأفئـدة الحزينـة لفقـده ، ارادت الأمـة أن تشـيعه الى مقـره الأخـير وأن تظهـر وفاءهـا لبـاعث نهضتها الوطنيـة ، ومرقظهـا من رقدتهـا ، وادرك النـاس كافـة حتى الذين كـانوا لا يؤمنـون برسـالة مصطفى كـامل أن بطلهـا وزعيمها الشاب جـدير حقـا بتقـدير الوطن ، ولـم يكن هـذا الشـعور مقصـورا على طبقـة دون أخـرى ، بـل تناول طبقات الأمـة كافـة ، شمل المتعلمين وغـير المتعلمين ، وتنـاول الكبـار والصـغار ، والرجال والنسـاء » .

لخطبه السياسية من أثـر عظيـم فى إذكـاء نـار الوطنير وما أسهم بـه شـوقى من شـعر وطنى كـان وقـودا للحـركة الوطنيـة فيذكـر أن مصطفى كـامل قـد طلـع على النـاس بـدرا كـاملا فى سـن العشرين واحتـل مركـز الصـدارة فى أمتـه وهـو فى هـذه السـن المبـكرة دن عمـر الشـباب فأصبح يشـار إليـه بالبنـان وترمقـه العيـون وقـد أعـاد للمنـابر بخطبـه الوطنية عهـد « قس بن ساعدة الأبادى » فى سوق عـكاظ وجهـر بالحق الصـراح الذى لا نفـاق فيـه . يقـول شـوقى مخاطبـاً الزعيـم :

وما أنساك فى العشرين(١٥) لمـا
طلعت حيـالهم قمـرا تمـاماً

يشـار إليـك فى النـادى وترمى
بعينى من أحـب ومن تعـامى

إذا جئت المنـابر كنت « قسـاً »
إذا هو فى « عكاظ » عـلا السناما

وأنت ألـذ للحـق اهتـزازا
وألطف حيـن تنطقـه ابتسـاما

وتحمل من أديـم الحـق وجهـاً
صراحـاً ليـس يتخـذ اللثـاما

---

(١٥) اراد بذلك ان جهـاد مصطفى كـامل ظهـر جـدا واشـتد كفـاحه الوطنى بعـد الاتفـاق السـودى الذى ابـرم بين انجلترا وفرنسا تامـرا على القضـية المصرية وايـده الخديوى عبـاس سـنة ١٩٠٤ وكـان عمـر مصـطفى كـامل آنذاك اثنتين وعشرين سـنة .

ويأخذ شوقى فى سرد ذكرياته مع الفقيد والعلاقة الحميمة التى تربطه به والعمل الوطنى المشترك الذى كانا يقومان به وما كان لشعره من جهود فى الكفاح الوطنى وما للصحافة الحرة من أثر بالغ فى إذكاء نار الوطنية فقد كان مصطفى كامل يصدر جريدة اللواء ينفخ فيها روح الحرية فى الشباب ويثير شعور المصريين بحقهم وبكرامتهم .

وكان شوقى ينشر شعره الوطنى للشباب مجسماً فى جريدة اللواء وكانت خطب مصطفى كامل فى قوتها وصدقها وتأثيرها أشبه بنفخ الصور أو زئير الأسد وكانت على المخلصين الوطنيين حلوة عذبة المساغ .

وفى ذلك يقول شوقى :

أتذكر قبل هذا الجيل جيلا
سهرنا عن معلمهم ونامـا ؟

لواؤك كان يسقيهم بجام
وكان الشعر بين يدى جاما

من الوطنية استبقوا رحيقاً
فضضنا عن معتقها الختاما

غرسنا كرمها فزكا أصولا
بكل مرارة وذكا مداما

جمعتهم على نبرات صوت

كنفخ الصور حركت الرجاما

لك الخطب التى غص الأعادى

بثورتها وساغت للندامى

فكانت فى مرارتها زئيرا

وكانت فى حلاوتها بغاما

ويختم شوقى قصيدته الثانية هذه من رثائه للفقيد فيوضح أن مصطفى كامل كان البداية الحقيقية لبعث عهد جديد فى الوطنية المصرية فجعل كعبتها قضية الوطن ودعامتها جلاء المستعمر وأن صوته مطالبا بالجلاء قد أسمع الدنيا صبيا وأقض مضاجع المستعمرين غلاما . هذا ما يكشفه قوله :

بك الوطنية اعتدلت وكانت

حديثا من خرافة أو منادا

بنيت قضية الأوطان منها

وصيرت الجلاء لها دعاما

هززت بنى الزمان به صبيا

ورعت به بنى الدنيا غلاما

ورثاه شوقى بعد ذلك بقصيدة ثالثة ألقيت فى الاحتفال

بذكـراه فى فبـراير (١٦) سـنة ١٩٣٦ بعـد أن التـأم شـمل الأحزاب المتنـاغرة وفيهـا يبـدو تأثـر شوقى بزعـامة مصطفى وصداقته ويشـيد بمناقبه ومآثـره • وقـد جـرى شـوقى فى هـذه القصـيدة على مألـوف عـادته من تقسـيم قصـيدته الى مقـاطع كبـيرة يتنـاول فى كـل مقطـع فـكرة من الأفـكار التى ينظـم فيهـا •

فى المقطـع الأول : يذكـر أن الفقيـد وإن رحـل عن الدنيـا فهـو حى فى القـلوب بمآثـره الخـالدة وسيرته العطـرة وأنـه غـائب لكنـه حـاضر يعـود فضله ويتجـدد ذكـره كلمـا آبت الشمس وعـاد القمـر وإن كـان القمـر يرسل نـوره من السماء فيبـدد دياجـير الظـلام فـإن قبـر مصطفى ينبعث منـه النـور الذى يتمـم ضـياء النهـار • يقـول شـوقى (١٧) :

لـم يمـت مـن لـه أثـــر
وحيـــاة مـن الســـير
أدعـــه غائبـــاً وإن
بعـــدت غـــاية الســـفر
آيـب الفضـــل كلمـــا
آبـــت الشـــمس والقمـــر
رب نـــور متمـــم
قـــد أتانـــا مـــن الحفـــر

---

(١٦) مصـطفى كـامل للرافعى ص ٣٩١ .
(١٧) الشـوقيات ج ٣ ص ٩١ .

وفى المقطع الثانى : يشيد به شجاعا مغوارا زائدا عن الحياض يلتف الناس حوله كلما راح أو غدا ، كما يشيد بمناقبه التى أرست دعائم الوطنية ويوصى المصريين أن يتمسكوا بها ويسيروا على هديها فيقول :

أعوذ الحق ذائد
والى (مصطفى) افتقر

وتمنت حياضه
هبة الصارم الذكر

الذى ينفذ المدى
والذى يركب الخطر

أيها القوم عظموا
واضح الأس والحجر

اذكروا الخطبة التى
هى من آيه الكبر

لم ير الناس قبلها
منبرا تحت محتضر

لست أنسى لواءه
وهو يمشى الى الظفر

حشر الناس تحته
زمرا إثرها زمر

وتـــرى الحـــق حـــــوله

لا تـرى البيـض والســمر

كلمـــا راح أو غـــــدا

نفـــخ الـــروح فى الصـــور

وفى المقطـع الثالث : يتحـدث عن الروابط التى كانت تربطـه بالفقيـد فهـو صـديق عـزيز وخـل وفى حميـم ربطت بينهمـا أواصـر المـودة والمحبـة والنشـأة منـذ الصـبا وستظل ذكراه محفـوظة فى سـويداء قلبـه لأنـه صـنو الروح شـقيق الفؤاد كمـا قـال :

يا أخـــا النفـس فى الصـــبا

لـــذة الـــروح فى الصـــغر

وخليـــــلا ذخـــــرته

لـــم يقـــوم بمدخـــر

حـــال بيـــنى وبينـــه

فى فجـــاءاته القـــدر

ويختـم حديثـه بهـذه الأبيـات التى تعبـر عن عاطفـة حزينـة ونفس تفيـض أسى وألمـاً إذ يقـول :

كيـف أجـــزى مـــودة

لـم يشـــب صـفوها كـــدر

غـــير دمـــــع أقـــــوله
قـــل فى الشـــأن أو كثـــــر

وفـــــؤاد معـــــــلل
بالخيـــــالات والذكـــــــر

لـــم ينـــم عنـــك ســـاعة
فى الأحـــاديث والسـمر (١٨)

وبعـــد .. فهـذا هـو رثـاء شـوقى للزعيـم الخـالد مصطفى كـامل : إحساس صـادق وشعور عميـق بالأسى وعاطفة آلمهـا فقـد صـديق ووجـدان حـزين شـفه غيـاب عـزيز .

هـذا وجـدان شـوقى كمـا اتضـح لنـا . فياترى كيف كـان وجـدان حـافظ ؟ هـل بلـغ فيـه ما بلغـه شـوقى أم تفـوق عليـه ؟ هـذا ما سأبينه فى الصفحات التاليـة :

---

(١٨) الشـوقيات جـ ٢ ص ٩٢ .

(٣)

مصطفى كامل فى وجدان حافظ (١)

لم يبرع حافظ إبراهيم فى فن من فنون الشعر براعته فى الرثاء بل إنه الفن الذى برز فيه شعراء عصره ، فقد أجاد فيه كل الإجادة إذ فيه نحس صدق العاطفة ووفرة الاحساس ، وترجع براعته فيه الى أمور منها :

أولا : أنه استطاع أن ينقل الرثاء من مأساة فردية الى مأساة اجتماعية ، فموت الشيخ محمد عبده نكبة على مصر وعلى العالم الإسلامى وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة (٢) .

ثانيا : أنه كان منطويا على كثير من الحزن والأسى بسبب ما عاناه فى حياته من بؤس وشقاء بسبب يتمه المبكر الذى طبعه بطابع الحزن ففاضت نفسه منذ فجر حياته بطوفان من الحزن والكدر .

---

(١) كان حافظ قد التقى منذ صباه فى المدرسة الخيرية بالتلميذ بالزعيم مصطفى كامل حيث تزاملا فى التعليم ، وحيث كانت بين أسرتيهما صلات قرابة ونسب ؛ فقد كانت أم حافظ وأم مصطفى بنتى خالة ثم ما لبثت أن فرقت بينهما الأحداث حتى التقيا ثانية فى شبابهما فى الجهاد الوطنى الذى خاضاه ضد الاستعمار .

(٢) انظر مقدمة الديوان للأستاذ احمد أمين ص ٨٢ .

وقد عبر عن حزنه هذا فى سن الصبا حينما برم به خاله فنظم له بيتين يدلان على مافى نفسه من ألم عميق إذ يقول :

ثقلت عليك مؤونتى
إنى أراها واهيه
فافرح فإنى ذاهب
متوجه فى داهية (٣)

وكان إذا خلا الى نفسه أو الى صديق له شكا اليه بثه وخفايا نفسه وقد أصبح الحزن قطعة من نفسه حتى إنه كان لا يستجيب لنداء الشعر الا إذا كان محزونا وكان فى هذه الحالة كثيرا ما يشكو الدهر ويندب سوء حظه ويتبرم بأحداث الزمن ويتمنى لو يوافيه حمامه وينتهى أجله . من ذلك قوله :

عجبت لعمرى كيف مد فطالا
وما أثرت فيه الهموم زوالا
وللموت مالى قد أراه مباعدا
وجل مرادى أن أوسد حالا
فللموت خير من حياة أرى بها
ذليلا وكنت السيد المفضالا (٤)

---

(٣) مقدمة ديوان حافظ ابراهيم ج ١ ص ٥٨ .
(٤) ديوان حافظ ج ١ ص ٥٩ .

ويحكى عنه بعض أصحابه أنه كان يقول : « لا يطيب لى نظم الشعر الا إذا كنت حزيناً » (٥) • فطبع حافظ طبع حزين وهذا الطبع الحزين - كما يقول الأستاذ أحمد أمين - يبعث عواطف حزينة ويحمل على الإجادة فيها ••• فخير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة فأما فرح بالطبيعة وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث عن عاطفة السرور فلم يكن له كبير مجال فى شعره » (٦) •

ثالثا : كان حافظ يحس فى قرارة نفسه أن أصحابه قد أخلصوا له الود غير طامعين منه فى جاه أو نسب لأنه كان رجلا فقيرا لا حول له ولا طول فهم أحبوه لأنه خليق بحبهم وتقديرهم • لهذا فإنه كان يجد الرثاء ديناً فى عنقه نحو أحبابه الذاهبين وحقا واجباً لهم فهو يعد رثاءه وفاء لهؤلاء الراحلين ويعتذر إذا لم يبلغ فيه ما يريد ويستنجد بدمعه إذا لم يسعفه القريض « فقد كان سريع التأثر شديد (٧) الانفعال ولهذا جاء رثاؤه من النوع الانسانى الذى يصدر عن نفس تحس لذع الحزن ولا تستطيع أن تخفيه ، وهذا يفسر لنا خلو هذا الرثاء من الفلسفة والتفلسف اللذين يعتمدان على الأناة والعقل وعمق التفكير » •

---

(٥) حافظ ابراهيم شاعر النيل ، د. عبد الحميد سند ، ص ١٢٩ •

(٦) مقدمة الديوان للأستاذ أحمد امين ص ٨٩ •

(٧) حافظ ابراهيم شاعر النيل ص ١٢٩ ، ١٣٠ •

رابعا : أضيف الى هذه الأسباب سببا رابعا وهو : أن حافظاً كان شديد الخوف (٨) من الموت وبخاصة حينما تقدمت به السن فكان يتوهم المرض ويعتقد أن الموت قريب منه فإذا مات له صديق أو حبيب راعه ذلك واعتقد أنه نذير يقرب منيته . كما فى قوله من قصيدة فى رثاء حفنى ناصف :

آذنت شمس حياتى بمغيب
ودنا المنهل يا نفس فطيبى
قد مضى « حفنى » وهذا يومنا
يتدانى فاستثيبى وأنيبى
راعنى فقد شبابى وأنا
لا أراع اليوم من فقد مشيبى
قد وقفنا ستة نبكى على
عالم المشرق فى يوم عصيب (٩)
وقف الخمسة قبلى فمضوا
هكذا قبلى وإنى عن قريب (١٠)

كل هذه الأسباب مجتمعة أدت الى تفوق حافظ على

---

(٨) مقدمة ديوان حافظ للأستاذ احمد امين ص ٨٢ .

(٩) يقصد « بعالم المشرق » الامام محمد عبده فقد نعاه يوم وفاته ستة من الشعراء واتفق ان ماتوا على ترتيب وقوفهم فى الرثاء .

(١٠) ديوان حافظ ج ٢ ص ٢٠٣ .

غيره من معاصريه فى فن الرثاء وبوأته منزلة لا يدانيه فيها أحد من شعراء عصره • يقول الدكتور طه حسين : « هذه منزلة لا أعرف كثيرا من شعراء العربية فى العصر الحديث قد بلغوا منها ما بلغ حافظ ، فبين شعرائنا فى هذه الأيام من يرثون فيحسنون الرثاء ويجيدون وصف الفقيد الراحل وتعديد خلاله ومآثره ويتقنون وصف الحزن عليه والأسى لفراقه ويبلغون البراعة فى إرسال الحكم البالغة ويجمعون من هذا كله ما يحسن وقعه فى القلوب وما يلذ الأسماع والعقول معاً ولكنهم لا يثيرون مافى النفوس من عواطف الحزن الكامنة ولا يذرفون من العيون الدموع الغزيرة كما كان يفعل حافظ لأن أكثر هؤلاء الشعراء يرثون ولكن عن غير حزن صادق ويندبون ولكن عن غير لوعة محرقة ، بل يتجهون الى الرثاء على أنه فن من فنون الشعر يجب أن يسهموا فيه وعلى أن مكانتهم الأدبية تضطرهم الى أن تكون لهم فى الرثاء كلمة مسموعة • أما حافظ فكان يرثى لأنه يحزن وكان يحزن لأنه يحب وكان يحب لأن الله قد وهبه نفساً رضية مؤثرة لم تبرأ من شىء قط كما برئت من الأثرة وكما برئت من الضغينة والحقد » (١١) •

وقد أتيح لحافظ أن يكون وثيق الصلة بالأفذاذ الذين ظهروا على مسرح السياسة المصرية والمجتمع المصرى

---

(١١) حافظ وشوقى لطه حسين طبعة سنة ١٩٧٣ م ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ص ١٣٦ .

بمآثرهم وقدموا الشعب أجل الخدمات فى مجال الدين والوطنية والاجتماع وكانت صلته بهم صلة خالية من قيود الكلفة والتزمت من أمثال أستاذه الإمام محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين ومصطفى كامل ، من أجل هذا كان إذا تخطف الموت واحدا من هؤلاء الذين يجلهم عد ذلك كارثة تثير فى نفسه كوامن الألم اللاذع واللوعة المريرة فينطلق بالشعر لسانه مصورا هذه العواطف بالغاً من ذلك ما يريد مثيرا فى نفوس الناس كثيرا من الحزن والجزع .

والمتتبع لرثاء حافظ فيمن أحبهم يرى أنه صورة صادقة للجزع ونارا ملتهبة للوعة التى لا حد لها ويشعر أن قلب الشعب يخفق ألماً وأن نفسه تضطرم أسى وحزنا .

وقد شهد له بالبراعة فى الرثاء أمير الشعراء شوقى ، وكان يؤثر أن يتصى نحبه قبله حتى يلقى منه أوفى الرثاء ، فيقول فى مستهل رثائه إياه :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى
يا منصف الموتى من الأحياء
لكن سبقت وكل طول سلامة
قدر وكل منية بقضاء (٣٢)

فلا عجب إذا كان شعر الرثاء عند حافظ غزيرا وفيراً ، وقد أحس هو بذلك فقال :

---

(١٢) الشوقيات ج ٣ ص ٢٢ .

إذا نصفحت ديـوانى لتقـرأنى
وجدت شعر المراثى نصف ديوانى (١٣)

وأول ما تلحظه فى رثـاء حـافظ أنـه رثـاء بالمعنى الإنسانى الواضـح : حـزن غـامر تتنـزى بـه نفس الشـاعر يختـلف قـوة وضـعفاً باختـلاف صـلة الشـاعر بالمـرثى وباختـلاف ما تركـه الفقيـد من آثـار فى ميـادين الوطنيـة أو الإصـلاح أو العـلم ، وتبيـان لخـلال الشـاعر وصفاته الكريمة ، وذكـر يهصـر القـلب الأيام المـواضى التى نعـم فيهـا الشاعر بصداقة الفقيـد ، وشـجا يتجـدد كلمـا عـدت المنيـة على صـديق أو زعيـم أو حبيب •

وأقـوى ما يكـون هـذا الطـابع حين يبـكى الشاعر عظيما من العظمـاء الذين اتصـل بهـم اتصـالا وثيقـاً وتتلمذ عليهـم وغمـروه بعطفهـم وحدبهـم فـإذا رثى الإمـام محمـد عبـده بين لنـا فجيعة الدين والعـلم والإصلاح فيـه ، وإذا رثى مصطفى كـامل صـور روائـع مواقفـه وآثـاره الوطنية الشجاعة وجسامة الخطب الذى أصـاب المصريين بـل والمسلمين فى سـويداء قلوبهم وكـأنه بذلك يعلمهم كيف يجـدون لـذع الحـزن وألـم الفجيعة •

وقـد اكتسب رثـاء حـافظ لعظمـاء الأمـة لونـاً بارعـاً من الخطـابة كـان لـه فعـل السـحر فى نفـوس النـاس •

---

(١٣) ديـوان حـافظ ج ١ ص ١٤٠ .

من هنا جاءت مراثيه للزعيم مصطفى كامل رائعة كل الروعة مصورة لحزن الشعب وأساه وذلك ناجم من عمق إحساسه بفداحة الرزء كذلك صنع مع الإمام محمد عبده ، لأن الامام كان عظيما من عظماء الدين وعلماً من أعلام النهضة الفكرية ومصلحاً اجتماعيا خطيراً • وكان مصطفى زعيما سياسياً أيقظ الأمة من سباتها وملأ نفوسها أملا ورجاء • وكان حافظ فى رثائهما ينطق بألسنة الجماهير المحزونة •

وقد رثى حافظ الزعيم مصطفى كامل بثلاث قصائد ، وكل واحدة منها كانت قطعة من نفسه المكروبة التى هزها المصاب • فقد كان صديقا حميماً لمصطفى كامل برغم صلاته بخصومه السياسيين ، وكان مصطفى شديد الإعجاب بشعر حافظ وأدبه ، فحين ظهر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠١ قرظه فى جريدة « اللواء » تقريظا يدل على عظم تقديره له وأسهب فى الثناء عليه حين عرب كتاب « البؤساء » سنة ١٩٠٣ (١٤) ، وقد ألقى حافظ القصيدة الأولى على قبر الزعيم واستهلها بقوله :

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة
فكبر وهلل والق ضيفك جاثيا (١٥)

ولعل جسامة الخطب هى التى دفعته الى أن يستهل

---

(١٤) مصطفى كامل الرافعى ص ٣٧٦ .
(١٥) ديوان حافظ ج ٢ ص ١٤٩ — ١٥١ •

القصيدة بهذه المبالغة المسرفة ، وهو يصور فداحة المصاب فيقول :

عزيز علينا أن نرى فيك مصطفى
شهيد العلا فى زهرة العمر زاويا
أيا قبر لو أنا فقدناه وحده
لكان التأسى من جوى الحزن شافيا
ولكن فقدنا كل شىء بفقده
وهيهات أن يأتى به الدهر ثانيا
فيا سائلى أين المروءة والوفا
وأين الحجا والرأى ؟ ويحك هاهيا
هنيئا لهم فليأمنوا كل صائح
فقد أسكت الصوت الذى كان غانيا
ومات الذى أحيا الشعور وساقه
الى المجد فاستحيا النفوس البواليا

ويخاطب الفقيد مبيناً أسى الشعب ولوعته ، ذاكرا فضله فى إيقاظ الأمة من رقادها :

مدحتك لما كنت حياً فلم أجد
وإنى أجيد اليوم فيك المراثيا
عليك ، وإلا ما اذا الحزن شاملا
وفيك ، وإلا ما لذا الشعب باكيا
وكنا نياماً حينما كنت ساهدا
فأسهدتنا حزناً وأمسيت غافيا

شهيد العلا ، لازال صوتك بيننـا
يرن كما قـد كان بالأمس داريـاً

يهيب بنـا : هـذا بنـاء أقمتـه
فـلا تهدموا بالله ما كنـت بانيـاً

يصيح بنا : لا تشعروا الناس أننى
قضيت وأن الحى قـد بات خاليـا

يناشـدنا باللـه ألا تفرقـوا
وكونوا رجـالا لا تسرو الأعـاديا

ويعـاهد الفقيـد على أننـا سنظل أوفيـاء لمبـادئه مقيمين على عهـده :

أجـل أيها الداعى الى الخير إننـا
على العهد مادمنا فنم أنت هانيـا

بنـاؤك محفوظ وطيفـك ماثـل
وصوتك مسموع وإن كنت نائيـا

ثم يخـاطب مصطفى طالبـاً إليـه أن يرخص لهـم فى البكاء لأن الـرزء فـادح يستأهل الانتحـاب ، فهـذا مقـامه :

عهدناك لا تبكى وتنكر أن يـرى
أخو البأس فى بعض المواطن باكيا

فرخص لنـا اليوم البكاء وفى غـد
ترانا كمـا تهوى جبالا رواسـيا

ويستحث المصريين على الوفاء لهـذا الراحـل الـكريم وذلك بالمحافظة على مبـادئه والسـير على سياسته ، والتمسك بشـعاره فيقـــول :

فيا نيـل إن لم تجـر بعد وفـاته
دمـاً أحمرا لا كنت يا نيل جاريا

ويا مصر إن لم تحفظى ذكر عهـده
الى الحشر لازال انحلالك باقيـاً

ويا أهل مصر إن جهلتم مصابكم
ثقوا أن نجـم السعد قد غار هاويا

ثلاثون عـاماً بـل ثلاثـون درة
بجيـد الليالى ساطعات زواهيـا

ستشهد فى التاريخ أنك لـم تكـن
فتى مفرداً بـل كنت جيشا مغازيا

* * *

والقصيدة الثانية : أنشدها فى ذكرى الأربعين ، ومطلعها (١٦) :

نثـروا عليـك نوادى الأزهـار
وأتيت أنثـر بينهـم أشـعارى

زين الشباب وزين طـلاب العـلا
هل أنت بالمهـج الحزينة دارى ؟

---

(١٦) ديـوان حـافظ ج ٢ ص ١٥١ — ص ١٥٦ .

غادرتنـا والحـادثات بمرصـد
والعيش عيش مذلـة وإسـار

وفيهـا يستعرض مواقف الفقيـد وصـلابته فى الحـق ، ويصـور فيهـا جهـاده الذى كـانت البـلاد أحـوج ما تكـون إليـه :

ما كـان أحوجنا اليك إذا عـدا
عـاد وصاح الصائحون : بـدار

قم وامح ما خطت يمين (كرومر)
جهـلا بديـن الواحـد القهـار

قـد كنت تغضـب للكنانة كلمـا
همـت وهـم رجاؤهـا بعثـار

قد ضاق جسمك عن مداك فلم يطق
صـبرا عليك وأنت شـعلة نـار

أودى بـه ذاك الجهـاد وهـده
عـزم يهـد جـلائل الأخطـار

لعبت يمينـك باليراع فأعجـزت
لعـب الفوارس بالقنـا الخطـار

وجـريت للعليـاء تبغى شـأوها
فجـرى القضاء وأنت فى المضمار

ومن أبدع ما فيها أنه صور جنازة الفقيد تصويرا رائعاً وقد نجح فى إبراز عاطفة شعب مصر الوفى لزعمائه ومبلغ حزنه على زعيمه وقائد نهضته ، ويقدم لذلك بأنه قد طاب نفساً لما رأى هذه الجموع الحاشدة بنعش الفقيد تنتحب وتسكب الدمع الهتون :

عز القرار على ليلة نعيه
وشهدت موكبه فقر قرارى

شاهدت يوم الحشر يوم وفاته
وعلمت منه مراتب الأقدار

ورأيت كيف تفى الشعوب رجالها
حق الولاء وواجب الإكبار

تسعون ألفاً حول نعشك خشع
يمشون تحت « لوائك » السيار

خطوا بأدمعهم على وجه الثرى
للحزن أسطارا على أسطار

آنا يوالون الضجيج كأنهم
ركب الحجيج بكعبة الزوار

وتخالهم آنا لفرط خشوعهم
عند المصلى ينصتون لقارى

غلب الخشوع عليهم فدموعهم
تجرى بلا كلح ولا استنثار

قـد كنت تحت دموعهم وزفيرهم
ما بين سـيل دافـق وشـرار

أسـعى فيأخذنى اللهيب فـأنثنى
فيصـدنى متدفـق التيـار

ويختـم قصـيدته مخاطبـاً الفقيـد فى عاطفة حزينـة وأسى عميـق وشـعور متدفق مفعـم بالمـرارة والألـم :

فاهنـأ بمنزلك الجديد ونـم بـه
فى غبطـة وانعـم بخـير جـوار

واستقبل الأجـر الكبير جزاء مـا
ضـحيت للأوطـان من أوطـار

نعـم الجـزاء ونعـم ما بلغتـه
فى منـزليك ونعـم عقبى الـدار

* * *

أمـا القصـيدة الثالثة فقـد أنشدها فى الحفـل الذى أقيـم عندقبـره لإحيـاء ذكـراه الأولى يـوم ١٢ من فبـراير سـنة ١٩٠٩ م وهى من أبلـغ روائـع الشـعر العـربى (١٧) « فقـد كـانت أروع هـذه القصـائد لا من حيث تصويرها للوعـة الأسى وحـرقة الفـراق وعظـم المصـاب ، ولا من حيث تصويرها لجهاد الفقيـد ودفاعه عن مصـر وقضيتها وإيقاظه قـوما ظـن أعداؤهم بهـم الظنـون ورموهم بكـل نقيصـة ـ ليس كل ذلك فحسب ـ

(١٧) مصطفى كـامل للرافعى ص ٣٨٢ .

ولكن أيضا من حيث وصفه آلام مصر وآمالها وشعورها إزاء الاحتلال ومصائبه ، وقد أسفر فيها حافظ عن ذات نفسه فجهر بعدائه الصارخ للانجليز ولم يعد ذلك الذى يلين القول ويدعو الى المهادنة وهذه القصيدة خير ما يمثل شعر حافظ السياسى الذى اكتسب به لقب (شاعر النيل) » (١٨).

ومطلع تلك القصيدة :

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا
واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم (١٩)

وفيها يخاطب الفقيد الذى كان جذوة فخبت وحركة دائبة فسكنت ويصور الثورة التى كانت متأججة فهمدت والفراغ الذى تركه مصطفى فى ميدان السياسة فينادية :

يأيها النائم الهانى بمضجعه
ليهنك النوم لا هم ولا سقم
باتت تسائلنا فى كل نازلة
عنك المنابر والقرطاس والقلم
تركت فينا فراغا ليس يشغله
إلا أبى ذكى القلب مضطرم

---

(١٨) انظر فى الادب الحديث للأستاذ عمر الدسوقى ج ٢ ص ١١١ ، ص ١١٢ .
(١٩) ديوان حافظ ج ٢ ص ١٦٠ - ص ١٦٣ .

منفـر النـوم سـباق لغـايته
آثـــاره عمـم آمالـه أمـــم

ويستحضر حافظ شخص الزعيـم يحف بـه الجـلال والعظمة مهيئـاً نفوس الناس لهـذا الاستحضار مثـيراً فيهـم روح اليقظة والانتبـاه بقـوله :

إنى أرى وفـؤادى ليس يكذبنى
روحـاً يحف بهـا الإكبار والعظم

ثم يمـلا القلوب ببيت ألفـه من جمـل متقاطعـة قصـيرة وختمـه بصـورة رائعـة خـلابة يتجـلى فيـه حسن التقسـيم وروعـة الأداء :

أرى جـلالا أرى نـوراً أرى ملكاً
أرى محيـــا يحيينـا ويبتســم

ويعـود الى ذكـرياته فيستأثر بـه الذهول فيغلبه على نفسه ويملك عليـه أمـره فيصـيح :

الله أكبر هـذا الوجـه أعـرفه
هذا فتى النيل هذا المفرد العـلم

وفى لـون من الخطابة يمنحـه قـوة تسـيطر على نفـوس الحاضرين يقنـع الجمهـور أنـه أمـام الزعيـم بحديث تملـؤه المهـابة والروعـة والحب معـا فيقـول :

غضـوا العيون وحيـوه تحيتـه

من القلوب إذا لـم تسعد الـكلم

ويهيب بمواطنيـه أن يقسموا على الذود عن مبـادئه قـائلا لهـم :

وأقسموا أن تذودوا عن مبـادئه

فنحن فى موقف يحـلو بـه القسم

ثـم يقـول معبرا عمـا يجيش فى نفس كـل مصرى مخاطبـا الزعيـم فى حماسـة متقـدة وعاطفـة مشبوبة ووجـدان ملتهب ويصـيح صـيحة كلهـا إيمـان وطاعـة :

لبيك نحن الألى حركت أنفسـهم

لمـا سكنت ولمـا غـالك العـدم

جئنـا نؤدى حساباً عن مواقفنـا

ونسـتمد ونستعدى ونحتـكم

ثم يصـور ما يلاقيه المصريون من ظـلم الانجليـز وضغطهم فيقـول :

قيـل اسكتوا فسكتنا ثم أنطقنـا

عسف الجنـاة وأعلى صوتنا الألم

قـد اتهمنا ولمـا نطـلب جلـلا

إن الضعيف على الحـالين متهـم

إذا سكتنا تناجـوا تلك عـادتهم
وإن نطقنا تنادوا : فتنـة عمـم

قـد مـر عام بنـا والأمر يحزبنا
آنـا وآونـة تنتابنـا النقـم

فالناس فى شدة والدهر فى كـلب
والعيش قد حار فيه الحاذق الفهم

وآخـيرا يحـث النشىء على أن يسـيروا فى الدرب الذى نهجه الزعيـم مترسمين خطـاه ليتموا ما بـدأه فيقـول :

يأيهـا النشىء سيروا فى طريقته
وثابروا رضى الأعـداء أو نقمـوا

فكلكم (مصطفى) لو سار سيرته
وكلكم (كامل) لو جـازه السـأم

وهـكذا كـان حـافظ فى رثائه لمصطفى كـامل ـ بـل ولكل من أحب ممن كـان لـه أثـر عظيـم فى أمتـه ـ إنساناً قـوى الحس صـادق الشعور عميـق الحـزن بادى اللوعـة فأرانا نفساً عميقـة الإحساس بثقـل الـرزء ووجداناً يذوب أسى ولوعة وقلبـاً مكلوما يسـفر عن عظـم المصـاب وفداحـة الخطب . وكيف لا وقـد ربطتـه بالمـرثى صـلات وطيـدة ـ أشرت إليهـا فيمـا سـبق ـ كـان لهـا أثرهـا فى نفسـه فجـاء شـعره فى الرثـاء صـورة صـادقة عمـا تجيش بـه نفسـه ويكنـه فـؤاده .

(٤)

موازنة بين وجدانى الشاعرين

عرضت لشوقى فى رثاء مصطفى كامل ثلاث قصائد هى كل ما قاله فى هذه المناسبة ، ومثلها أيضاً لحافظ إبراهيم ، وقد أظهرت تلك القصائد وجدان وشاعر كلا الشاعرين (١).

وأستطيع أن أقرر مطمئنا بعد ذلك العرض لقصائد الشاعرين ولقراءتى المتأنية لشعر الرثاء عند كليهما أن أسجل هنا أن عاطفة حافظ كانت أقوى من صاحبه وأن وجدانه إزاء الفقيد مس شغاف القلوب ولعله بلغ فيه من نفوسنا ما يريد إذ أرانا نفسا صادقة للجزع على المرثى ونارا ملتهبة تضطرم لوعة وأسى وقلبا ملتاعاً يذوب ألماً وحسرة .

لقد ظهر حافظ باكياً حزيناً بادى اللوعة وهذا ما لم يبلغه شوقى لأنه — كما ذكرت سابقا — كان فى حياته وفى طباعه على النقيض من حافظ ، « فقد كان شخصية غامضة يعجز المرء عن الوصول الى قرارها ، وقد أبان عن ذلك الدكتور طه حسين حين قال : « وأما طبيعة شوقى فكانت معقدة فيها أثر من العرب وأثر من الترك وأثر من

---

(١) ملاحظة : اجتزأت هذه القصائد فاقتصرت منها على ما يبرز الجانب الوجدانى واضحا جليا عند كل من الشاعرين .

اليونان وأثـر من الشركس التقت كـل هـذه الآثـار وما تحمـل من طبـائع فى نفس شـوقى فكانت أبعـد الأشـياء عن البسـاطة وأنآهـا عن السـذاجة » (٢) .

كمـا أنـه لـم يصـادف فى حيـاته شـيئاً من شظف العيش والإقتـار وقـد ارتبطت حيـاته بالقصـر فكان يحيـا حيـاة ناعمة بعيـدة عن أجـواء الحـزن والألـم فاضطر الى أن يرسـم لنفسه طريقـا خاصـاً لا يجـر عليـه سـخط صاحبه ، ولهـذا قلمـا كـان فى رثائه مكان للبـكاء أو استثارة للحـزن . نعـم إنـه يأسى ويتحسـر ولكن لا يذوب أسى وحسـرة على الراحلين ولا يتحـدث عن نفسـه فى معرض الحـزن والبرحـاء كمـا كـان يفعـلحافظ ولكنـه كـان يجعـل من المـرثى وسـيلة للتحـدث عن الحيـاة وفلسفتها ونهـاية الدنيـا والحـديث عن الآخـرة وما الى ذلك من الأمـور الفلسفية كمـا فى قـوله من قصـيدته الأولى فى رثـاء مصـطفى :

جـار التراب وأنت أكرم راحـل
مـاذا لقيت من الوجود الفـانى

وقـولـه :

النـاس جـار فى الحيـاة لغـاية
ومضـلل يجـرى بغـير عنـان

---

(٢) حـافظ وشـوقى ص ١٧٣ .

كما كان يتخذ من ملابسات المرثى وظروفه ميدانا للافاضة فى الأحداث الإنسانية واستخلاص العبر منها كالذى نراه فى قوله :

والخلد فى الدنيا وليس بهين
عليا المراتب لم تتح لجبان

فلو ان رسل الله قد جبنوا لما
ماتوا على دين من الأديان

وقوله :

وأحب من طول الحياة بذلة
قصر يريك تقاصر الأقران

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوانى

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للانسان عمر ثانى

المرء فى الدنيا وجم شئونها
ماشاء من ربح ومن خسران

فهى القضاء لراغب متطلع
وهى المضيق لمؤثر السلوان

الناس غاد فى الشقاء ورائح
يشقى له الرحماء وهو الهانى

ومنعـم لـم يلـق إلا لـذة
فى طيهـا شـجن من الأشـجان

فاصبر على نعمى الحيـاة وبؤسها
نعـمى الحيـاة وبؤسها سـيان

وهـذا يفسـر لنـا ما كـان يصنعه شـوقى فى مراثيـه من الحـكم العـامة البالغة التى يستخلصها من عبـرة الفنـاء والموت والحيـاة كالذى احتـوته الأبيـات السابقة كى يستعيض بهـا عما كـان يشـعر بـه من فتـور العاطفة وضعف الإحساس . غـير أن عبقريته كانت تضـفى على مراثيـه كثـيرا من الجـلال يعوضـها ما تفقـده من صـدق الشـعور .

أمـا حـافظ فقـد كـان ذا شخصية واضـحة ونفسية يسيرة لاحـظ لهـا من عمـق ولا تعقيـد فجـاء شعره قطعة من النفوس المصـرية الإسلامية التى تؤثـر ببساطتها وسذاجتها فى كل أثـر من آثـار المصريين فـرأوا فيهـا صورهم تعكسها مـرآة صـافية وضـيئة نقيـة لا يشوبها صـدأ ولا يغشاها غبـار » (٣) .

ولهـذا كـان حـافظ صادق الحـزن عظيـم الإحسـاس فى رثائـه للأشخاص الذين عرفهم ولمـس مآثرهم وجمعتهم بـه أواصر المحبـة الخالصة والصـداقة والألفـة أو القـرابة والرحـم مثل

---

(٣) حـافظ وشـوقى ص ١٧٣ .

مصطفى كـامل فكان فى رثائـه عميـق الوجـدان عميـق الشعور إزاء المـرثى أكثـر من شـوقى .

ولنسـق لذلك مثـلا : قـوله فى رثـاء مصطفى كـامل :

زين الشباب وزين طـلاب العـلا
هـل أنت بالمهج الحزينة دارى ؟

غادرتنـا والحـادثات بمرصـد
والعيش عيـش مذلـة وإسـار

فإننـا نجـد أن حـزن حـافظ كـامن ليس فى مهجته وحـده وإنمـا فى مهـج النـاس أجمعيـن فقـد عبـر فى رثائـه عن حـزن دفيـن وأسى قـد تمكن فى سـويداء القـلوب .

أمـا شوقى فـإنه لا يرينـا مهجـاً حزينـة ولا قلوبا مكلومة وإنمـا يرينـا عيـوناً تدمـع كمـا فى قـوله :

شـقت لمنظـرك الجيـوب عقـائل
لـم تأت بعد رثيت فى القرآن » (٤)

ثـم انظـر الى حـافظ فإنك تعجب كيف استأثر بـه الذهول واسـتبد بـه الوجدان فتقطرت عاطفته حـزناً وألمـاً لموت مصطفى كـامل حتى ملك عليـه كـل أمـره فصـاح :

---

(٤) المرجـع السـابق ص ١٨٥ .

الله أكبـر هـذا الوجـه أعـرفه
هذا فتى النيل هذا المفرد العـلم

أمـا شـوقى فـلم يـزد عـلى أن يرينـا وصـف حـالة المـرثى وهو فى النـزع الأخـير بقـوله :

ولقـد نظرتك والردى بك محـدق
والـداء مـلء معـالم الجثمـان

فـلم يبـن عن نفس ملتـاعة ولا قـلب مضـه الألـم ، بـل إننى أعيب عليـه قـوله :

لـولا مغالبة الشجون لخـاطرى
لنظمـت فيـك يتيمـة الأزمـان

فلمـاذا غالبته الشجون على خاطـره فى هـذا المقـام الذى يستدعى فيـه أن يرينـا نفسـاً آلمهـا فقـد عـزيز عليه ؟ وهـو الذى يعـرف للمـرثى قـدره ، وكـان الفقيـد يشـيد بمكانتـه الأدبيـة على حـد قـوله :

قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى
وتجـل فـوق النـيرات مكـانى

ولننظـر الى حـافظ بعـد ذلك وقـد نجـح فى أن يشـرك الجمهـور معـه فى إحساسه وصـدق شـعوره فى عاطفة حـارة ملتهبـة واسـتطاع أن يقنـع الجمهـور أن يشـاركه هـذا الشـعور وأنـه أمـام الزعيـم العظيـم ويعجـب كيـف

يتحـدث الى هـذا الجمهـور الذى تمـلؤه المهابة والروعة والحب للزعيـم العظيـم فيقـول :

غضـوا العيون وحيـوه تحيتـه
من القلوب إذا لـم تسعد الـكلم

أمـا شـوقى ـ وقـد عـرض للحـالة نفسها التى عـرض لهـا حـافظ ـ فـإنه أبـان عن عاطفة فـاترة إذ لـم يـزد على قـوله يخـاطب الفقيـد .

والخـلق حولك خاشعون كعهدهم
إذ ينصتون لخطبـة وبيـان

فـلم يفصـح لنـا عن عاطفـة الجمهور المشـيع ولـم يزد على رسم صورة الجنازة واقتصر على الوصف الخارجى لمظهر المشيعين دون أن يتعـرف على أحاسيسهم ومشاعرهم ويبين عن عواطفهـم ووجداناتهم ولكن انظـر الى حـافظ وقـد التفت الى الصورة نفسها فأبان عن الوجـدان الحـزين والنفـوس الملتاعة والدموع الغـزار عند جمهـور المشيعين فيقـول :

تسعون ألفـاً حول نعشك خشـع
يمشون تحـت لـوائك السـيار

خطوا بأدمعهم على وجـه الثرى
للحـزن أسـطارا على أسـطار

وهكذا يمضى حافظ معبرا عن أحاسيسه مفصحاً عن وجدانه معبراً عن أحاسيسه وأحاسيس الأمة جمعاء فى شعر تبلورت فيه آمال أمته وآلامها • ومن هنا فإن رثاء لمصطفى كامل جاء صورة صادقة لما يثور فى نفسه بل ولما يثور فى نفوس الناس من حزن •

أما شوقى فإنه لم يبلغ فى هذا ما بلغ حافظ بل إنه لم يبلغ من الرثاء بصفة عامة ما بلغه حافظ ولم يحسن ما أحسن وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة وأغنى منه مادة حافظ من تصوير نفس الشعب وآلامه وآماله ولم يتقن ما أتقنه حافظ من إحساس الألم وتصويره • يقول الدكتور طه حسين : « وشوقى لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة وأغنى منه مادة وأنفذ منه بصيرة وأسبق منه الى المعانى وأبرع منه فى تقليد الشعراء المتقدمين لأن حافظاً كان يقلد فى الألفاظ والصور وكان شوقى يقلد فيها وفى المعانى أيضا ولشوقى فنون لم يحسنها حافظ ... يلتقى الرجلان فى كثير ويفترق الرجلان فى كثير ، ولكنهما على كل حال أعظم المحدثين حظاً فى إقامة مجدنا الحديث » (٥) •

---

(٥) حافظ وشوقى ص ٢٢٣ .

كلمـــة الختـــــام

وأخيرا وبعـد هـذه الدراسة التى استهدفت استظهار وجدان كـل من الشاعرين واقتضت منى وقفـة متأنية على نتاجهما الشعرى فى رثـاء الزعيـم الخـالد مصطفى كـامل ، كمـا اقتضت منى إطـلالة على العصـر الذى عاش فيـه كـل من المـرثى والراثيين لـه للوقـوف على ظـروف الحيـاة التى مـر بهـا الوطن آنذاك ؛ لمـا لهـذه الحيـاة من أثـر على وجـدان الشـعراء ٠ /

أقـول : بعـد هـذه الدراسـة التى احتواهـا هـذا البحث فـإنه يمكن للقـلم أن يسجل دون تردد أو إحجـام أن عاطفـة حـافظ فـاقت عاطفـة شـوقى حـرارة وعمقـا وكشفت مراثيـه لمصطفى كـامل عن نفس ملتـاعة شفها الألـم وأسفرت عن وجدان حـزين صـادق الحـزن فـاق وجدان شـوقى ٠

والله أسـأل أن أكـون قـد وفقت فيمـا إليـه قصـدت ٠٠

والحمـد للـه رب العـالمين ،،

دكتـور

محمـود جمعـة أميـن

استاذ الأدب والنقد المساعد

جامعـة الأزهـر

بنـات ـ سـوهاج

حـدائق القبـة فى غـرة المحـرم ١٤١٦ هـ

٣٠ من مايـو ١٩٩٥ م

المراجـــــع

١ ــ الاتجاهات الوطنيــة فى الأدب المعــاصر ، د٠ محمــد محمــد حسين ، المطبعة النموذجية بالقاهــرة ســنة ١٩٥٤ م ٠

٢ ــ تطــور الأدب الحــديث فى مصــر ، د٠ أحمــد هيكل ، دار المعــارف بمصــر ســنة ١٩٦٨ م ٠

٣ ــ حــافظ إبراهيــم شاعر النيــل ، د٠ عبد الحميد سند الجندى دار المعــارف بمصــر ســنة ١٩٩٢ م ٠

٤ ــ حــافظ وشــوقى ، د٠ طــه حسين ، الهيئة العــامة لشــئون المطــابع الأميرية ســنة ١٩٧٣ م ٠

٥ ــ ديــوان حــافظ ، الهيئة المصرية العــامة للكتــاب بالقاهــرة ســنة ١٩٨٠ م ٠

٦ ــ ديــوان صــالح مجــدى ــ القاهــرة ســنة ١٣١١ هـ ٠

٧ ــ الديــوان العقــاد والمــازنى ج ٢ ، الطبعــة الثالثة ، مطــابع دار الشعب بالقاهــرة ٠

٨ ــ شعراء مصــر وبيئاتهم فى الجيــل المــاضى للعقــاد ــ مكتبة النهضــة المصرية ســنة ١٩٦٥ م ٠

٩ ــ الشوقيات لأحمــد شــوقى ، التجــارية الكبــرى بالقاهــرة ســنة ١٩٦٤ م ٠

١٠ــ شوقى شاعر العصر الحديث ، د٠ شوقى ضيف دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٥ م ٠

١١ــ فى الأدب الحديث ، د٠ عمر الدسوقى ، دار الفكر العربى بالقاهرة سنة ١٩٦١ م ٠

١٢ــ مصطفى كامل نعبد الرحمن الرافعى ، النهضة المصرية سنة ١٩٥٠ م ٠

١٣ــ مصطفى كامل لفتحى رضوان ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٤ م ٠

١٤ــ وطنية شوقى ، د٠ أحمد محمد الحوفى ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٥ م ٠

١٥ــ مدارس الشعر فى العصر الحديث ، د٠ محمد عبد المنعم خفاجى ، الأنجلو المصرية سنة ١٩٩٠ م ٠

١٦ــ الأدب العربى الحديث ــ الجزء الأول ، د٠ محمد عبد المنعم خفاجى ، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٩١ م ٠